فوجدت أطفالاً كأفراخ القطا ... وعويل عانسة كقوس النازع
الله يعلم ما أقول فإنها ... جهد الألية من حنيف راكع
ما إن عصيتك والغواة تمدني ... أسبابها إلا بنية طائع
إن الذي قسم الخلافة حازها ... في صلب آدم للإمام السابع

فقال المأمون حين أنشده هذه القصيدة أقول كما قال يوسف لإخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين.

ولما قتل الأمين ببغداد وكان أخوه أمير خراسان واستقرت الخلافة له بعد أخيه فلما توطنت له غيّر لبس السواد ولبس الخضرة وعقد لعلي بن موسى الرضا صلى الله وسلم على سيد المرسلين وعليه شق ذلك على بني العباس تخوفا من انتقال الأمر إلى العلويين فبايع بنو العباس وأهل العراق لإبراهيم بن المهدي المذكور وسموه المبارك ويقال سمي المرضي وذلك يوم الجمعة لخمس خلون من المحرم سنة اثنين ومائتين فغلب على الكوفة وبلاد السواد وخطب له على المنابر ونزل بعسكره على مدائن كسرى ثم رجع إلى بغداد والحسن بن سهل مقيم في حدود خليفة عن المأمون والمأمون إذ ذاك مقيم بخراسان ولم يزل إبراهيم بن المهدي مقيما ببغداد يخطب له على منابر العراق إلى أن وصل المأمون إلى العراق وقد توفي علي الرضي فضعف أمر إبراهيم وقصرت يده عن بذل الأموال وتفرق الناس عنه ولم يزل على ذلك إلى أن صلى عيد الأضحى من سنة ثلث ومائتين ثم عاد من الصلاة إلى قصر الرصافة ومضى من يومه إلى داره المعروفة ثم خرج منها ليلا فاستتر وانقضى أمره وأقام في استتاره سنتين وأربعة أشهر وعشرة أيام ولما استشار المأمون أصحابه في إبراهيم بن المهدي أشار كل أحد بما حضره فأقبل المأمون على الحسن فقال ما تقول أنت قال يا أمير المؤمنين إن عاقبت فلك نظراء وإن صفحت فلا نظير لك فعفا عنه وكان المأمون أرسل إلى شكلة أم إبراهيم بن المهدي يتوعدها فأرسلت إليه إني من أمهاتك فإن كان ابني عصى الله فيك فلا تعصيه فيّ وجلس المعتصم يوما وهو خليفة وعن يمينه العباس بن المأمون وعن يساره إبراهيم بن المهدي فجعل إبراهيم يقلب خاتما في يده فقال له العباس يا عم ما هذا الخاتم قال رهنته في أيام أبيك وما فككته إلا في أيام أمير المؤمنين على يدي خلافك يعني المعتصم فقال له العباس والله لئن لم تشكر أبي على دمك مع عظم جرمك لا تشكر أمير المؤمنين على فك خاتمك فأفحمه. وكان إبراهيم قد ترك الغناء في آخر عمره وذلك أنه قال كنت يوما عند الرشيد في مجلس خلوة لم يحضره إلا جعفر بن يحيى البرمكي فبكى فقلت لا أبكى الله عينك يا أمير المؤمنين قال إنك أبكيتني يا إبراهيم لأنك مع كمالك وأدبك ومعرفتك قد اشتهرت بالغنا واخترته ولزمته حتى عطلك مما سموا إليه وكان بك غنا وقد ملك عليك بعض ولو أحبك فأمرك ونهاك واستهنك في الغناء وإنما امتهن المهدي بك قال فلما كان في أيام المعتصم حضر يوما مجلسه وكان الأفشين حاضرا فلما أراد الانصراف قال الأفشين يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك يتطول على عبدك بالتقدم إلى الندماء أن يكونوا غدا عندي فأمرهم المعتصم بالمصير إليه ويجيئني سيدي إبراهيم قال يا عم أجبه فصار إليه من غد وبكر عليه الندماء جميعا فسر وشرب حتى سكر وكان طاغيا شديد العربدة جوعا[illegible]

عمل فيه السكر قال يا إبراهيم غني صوتك الذي فيه مومو قال تغني والله أبدا إذا كل شيء بحسنه حتى يمر هذا الصوت قال فغنى أصواتا كثيرة والأفشين ساكت ضارب بذقنه على صدره ثم خطر ببال إبراهيم قول الرشيد وبكاؤه وإشفاقه عليه فغنى متعجبا لذكره

لما لقي بعدهم قوما فأخبرهم ... ألا يزيدهم حبا إلى هم

فرفع الأفشين رأسه وقال هو هو فقال إبراهيم أما إنك لا تدري ما استخرجه وانصرف فقطع الغنا وأهله ولم يغن بقية أيامه حتى اعتل العلة التي توفي فيها فإنه لما انتقل دعا المعتصم بصالح بن الرشيد فقال صر إلى عمي فقد بلغني أنه أصبح عليلا فاحضره وانصرف إلي بخبره قال فصرت إليه فإذا هو شديد العلة فسلمت عليه وسألته عن حاله فقال صر إلى الحجرة فاخلع سيفك وسوادك وعد إلي لآنس بك ساعة ودعا خادما من خدامه فأمره أن يحضر له طعاما قال فأحضره فأكلت وهو ينظر إلي وأنا أتبين الأسف في عينيه ثم دعا بأرطال مطبوخ عجيب فشرب ثم قال يا غلام ادع بنيه وخيزرانة وكانت بنيه تغني وخيزرانة تضرب فجاءتا فأمر هذه فضربت وأمر هذه فغنت ثم قال أسنديني فأسندناه فأمر خيزرانة فحطت من طبقتها ثم اندفع يغني

رب ركب قد أناخوا عيسهم ... يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم ... وكذاك الدهر حالا بعد حال
من رآنا فليوطن نفسه ... أنه منها على قرني زوال

قال فاستوفاه فلما سمعت شيئا قط أحسن من غنائه فيه ثم قال يا بني أتأذن لك قلت ما أريد أن أشق عليك مع ما أراه من حالك فليتني كنت فداك فقال دعني أودع نفسي وتغني

يا منزلا لم تبل أطلاله ... حاشا لأطلالك أن تبلى
لم أبك أطلالك لكنني ... بكيت عيشي فيك إذ ولى
والعيش أولى ما بكاه الفتى ... لا بد للمحزون أن يسلى

فبكيت لطيب غنائه وشرب رطلا ومال على جنبه ونهضت فلبست سوادي فما خرجت من الحجرة حتى سمعت الصراخ عليه وصرت إلى المعتصم فأخبرته الخبر على وجهه فاسترجع وبكى وتفجع وأخبار إبراهيم كثيرة طويلة شهيرة وكانت ولادته سنة اثنين وستين ومائة وتوفي يوم الجمعة لسبع خلون من شهر رمضان المعظم سنة أربع وعشرين ومائتين بسر من رأى وصلى عليه ابن أخيه المعتصم رحمه الله تعالى وسر من رأى فيها ست لغات حكاها الجوهري في كتاب الصحاح سر من رأى بضم السين المهملة وفتحها وتقديم الألف على الهمزة في اللغتين وسامرا وساموا واستعملها أبو عبادة البحتري ممدودا ونصبه على [illegible] ولا أعلم هل هي لغة سائغة أم استعمله ضرورة وسر من رأى مدينة بالعراق بناها المعتصم سنة عشرين ومائتين منها السرداب الذي ينتظر الإمامية خروج الإمام منه الذي يقال له المنتظر صاحب الزمان وأما الفضل بن الربيع فسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى

إبراهيم النديم الموصلي

أبو إسحق إبراهيم بن ماهان ويقال له أيضا ميمون بن بهمن نسل التميمي بالولاء الأرجاني المعروف بالنديم الموصلي لم يكن من الموصل وإنما سافر إليها وأقام بها مدة فنسب إليها هكذا ذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني وأول خليفة سمعه المهدي ابن المنصور ولم يكن في زمانه مثله في الغناء

ع

Copyright © King Saud University